

المنهج السوسيولوجي في ضوء نظرية الانعكاس-مقاربة فنية- The sociological method in the light of the theory of reflection -artistic approach-



^{*1} مريم دراوي

¹ جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر

meriem.draoui@univ-tlemcen.dz

مخبر الانتساب: تعريب المصطلح في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية

فرقة البحث: تعريب المصطلح النقدي المعاصر وترجمته

² زين الدين مختاري

² جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان الجزائر

zineeddine.mokhtari@univ-tlemcen.dz

تاريخ النشر: 2022/12/29

تاريخ القبول: 2022/12/26

تاريخ الارسال: 2022/10/14

ملخص:

تعددت مناهج واتجاهات العلوم الإنسانية، إذ يقوم كل بحث على أمرين أساسيين هما: المنهج والمفهوم، وفي هذا المقال نحاول معالجة إحدى المفاهيم الفلسفية والفنية، وذلك من خلال تناولنا للاتجاه السوسيولوجي، وارتباطه بنظرية الانعكاس، التي تنادي بضرورة رسم الواقع الاجتماعي، والالتزام بقضايا الطبقات وخاصة الطبقة العاملة، وإدراك الصراع الاجتماعي لتجسيده في العمل الفني. ومن خلال هذا المنهج نحاول تقريب المفهوم النقدي والجمالي الذي جاءت به النظرية للوصول إلى المقصد الأساس الذي نادت به ومدى تأثير ما جاءت به على الدراسات الأدبية والنقدية.

الكلمات المفتاحية: نظرية الانعكاس. سوسيولوجي. المنهج الاجتماعي. الأدب الواقعي. الالتزام.

Abstract: There are many approaches and trends in the humanities, because all research is based on two basic factors:

approach and concept. Working class and awareness of social contradiction to express it in works of art. Through this approach, we try to approach the critical and aesthetic concept that theory has brought to achieve the main objective claimed about it and the influence of what it has produced in literary research and criticism.

key words: Theory of reflexology. Sociology. sociological method. realistic literature. commitment.

* المؤلف المرسل .

1. مقدمة:

يعد المنهج مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم. وإذا كان المنهج في تعريفه المتداول يتمثل في، مجموعة من المفاهيم والتصورات المتصلة والأدوات والخطوات الإجرائية التي تفضي إلى نتيجة ما، فإن الصعوبة تظهر في ترتيبها وتنسيقها بالشكل الذي يجعلها تؤدي إلى النتيجة المنشودة (خضر حمد، د.ت). لقد جمعت الدراسات النقدية من العلوم الإنسانية والمدارس الفلسفية أهم المناهج العلمية، للكشف عن جماليات النصوص وفهم مكوناتها ودلالاتها.

مع ظهور الفلسفة الواقعية، برزت إلى الوجود (شعرية الواقع المادي) التي ثارت في وجه النظريات الفلسفية السابقة (المحاكاة، التعبير، الخلق) ورأت بأن أشكال الوجود الاجتماعي أسبق من أشكال الوعي، وأن الظاهرة الأدبية جزء من الظاهرة الثقافية والاجتماعية، وبالتالي فهي انعكاس للواقع (كفافي، 1972).

من خلال هذا المقال نحاول الإجابة عن الإشكاليات التالية: ماهية المنهج الاجتماعي، ومدى تأثيره في الدراسات الأدبية؟ وما طبيعة العلاقة بين نظرية الانعكاس وبين الاتجاه السوسيولوجي؟ وأين تكمن الرؤية الفنية والجمالية لنظرية الانعكاس؟

2. المنهج الاجتماعي:

هو المنهج النقدي الذي يربط الإبداع والمبدع نفسه بالحياة، ومن أبرز رواده كارل ماركس، وجورج لوكاتش، وريموند وليامز. فمنهج النقد السوسيولوجي يتميز بأنه يسعى أساساً من أجل إقامة علاقة بين الإبداع الأدبي والمسرحي وبين المجتمع، إذ يسعى المؤلف من أجل إظهار أبعاد الملامح الاجتماعية في أعماله بل أكثر من ذلك فإن المؤلف يحرص أيضاً على ضرورة إحداث التغيير في هذا المجتمع غالباً ما يكون لصالح أبناء الطبقات المغلوبة (صقر).

تري الفلسفة المادية الماركسية بأن الأدب تعبير عن محصلة عوامل مختلفة يتقدمها، العامل المادي الاقتصادي الذي يشكل رؤية الأديب وموقفه من الحياة والمجتمع، وإذا كان وعي الناس يحدد وجودهم في الفلسفة المثالية، فإن وجود الناس الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم، في الفلسفة الماركسية، ومن هنا وجب على الأديب أن يحمل أفكار طبقته ليعبر عن همومها ومواقفها (نشأت، 1970).

1.2 أسس المنهج الاجتماعي في الدراسات الأدبية:

يعتمد هذا المنهج على جملة من الخصائص نذكرها فيما يلي:

- ربط الأدب بالمجتمع والنظر إليه على أنه لسان هذا المجتمع، فالأدب صورة العصر والمجتمع، والأعمال الأدبية وثائق تاريخية واجتماعية.

- الأديب يؤثر في مجتمعه ويتأثر به ورؤيته تتبلور بتأثير المجتمع والمحيط والتربية.
- الأدب جزء من النظام الاجتماعي وهو كسائر الفنون ظاهرة اجتماعية ووظيفة اجتماعية.
- الأساس الاقتصادي هو الذي يحدد طبيعة الأيدولوجيا.
- الأدب لا يصور حال المجتمع تصويراً فوتوغرافياً، بل ينقله من خلال فهم الأديب له.
- ربط المنهج بين الجماهير والأدب فجعلها هدفاً مباشراً لخطابه.
- تحديد الأساس الاقتصادي للإنتاج الأدبي وكل ما يتعلق به، لبيان أثر الاقتصاد في هذا الإنتاج ووظيفته في المجتمع.
- يهتم النقاد الاجتماعيون بمفهوم المحتوى الاجتماعي، والمضامين والغايات الاجتماعية التي تهدف الأعمال الأدبية إلى تحقيقها.
- ومن الأركان الأساسية في المنهج الاجتماعي قضية الجمهور الذي يتلقى النص، ومدى التأثير الاجتماعي للأدب (خضر حمد، مناهج النقد الأدبي).
- من خلال هذه الأسس نتبين العلاقة الوثيقة التي يحاول النقاد الوصول إليها وهي علاقة الإنتاج الأدبي بالحياة الاجتماعية والطبقات الاجتماعية والنظام الاقتصادي.

3. في العلاقة بين الاتجاه السوسيولوجي ونظرية الانعكاس:

في كتابات كارل ماركس المتعلقة بتحليل الصلة بين الأدب والمجتمع على ضوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، ظهر مصطلح الانعكاس عام (1845م)، وبالتالي فإن مفهوم الانعكاس قد أخذ تحديده من خلال النظرية الماركسية (حجازي).

و على عكس النظريات السابقة التي اهتمت بعنصر واحد من عناصر الظاهرة الأدبية، حيث اهتمت نظرية المحاكاة بالمتلقي، واهتمت نظرية التعبير بالمبدع وقدمت مشاعره، ونظرية الخلق هدفت إلى النص أو العمل الإبداعي فقط، وفي المقابل نجد نظرية الانعكاس قد ملمت كل الجوانب التي تعرفها الظاهرة الأدبية، ولعل ذلك ما كتب لها النجاح والبقاء، وفلسفة الواقعية في المجال الأدبي، رأت بأن الأدب انعكاس للواقع الاجتماعي، أي أن الأعمال الأدبية لها صلة بالواقع، ولكنها ليست دوماً واقعية ويمكن تسميتها (شعرية الانعكاس) (كفاي، في الأدب المقارن).

تقوم نظرية الانعكاس على العلاقة القائمة بين الإبداع والمجتمع بالرجوع إلى الاتجاهات الفلسفية والمدارس النقدية، لإظهار جوانب التأثير والتأثر.

سعى نقاد الأدب الماركسي -نقاد الاتجاه السوسيولوجي- إلى ضرورة أن تعكس الأعمال الأدبية والمسرحية الواقع الاجتماعي للمبدع وأن يلتزم بقضايا الطبقات، وأن يكون قادرا على أن يدرك صيرورة الصراع الاجتماعي، ويجسده في عمله بوسائله الفنية، ومن هنا جاءت أولوية المضمون الاجتماعي على الشكل، بحيث يصبح الشكل وسيلة لتجسيد أو تحقيق المضمون في العمل الأدبي، وتصبح مهمة الناقد أو الدارس اكتشاف المضمون ومدى قدرة الكاتب على عكس قضايا الواقع الاجتماعي (صقر، قراءة في مناهج النقد المعاصر).

تعنى نظرية الانعكاس بالفلسفة الاجتماعية القائمة على الواقعية الاشتراكية لإصلاح المجتمع وإسعاد الفرد، وقد برزت ملامحها عند دعاة الواقعية أمثال "سان سيمون"، "جوزيف برودون" وكان هدفهم إقامة المجتمع على مبادئ عملية، ولا ينكر فضلهم في السير بالفلسفة نحو الواقع، فالغن يجب أن يخدم المبادئ الاجتماعية للفرد (خليل، 2007).

ومن أقطاب هذا الاتجاه النقدي في الأدب الفرنسي "بلزاك" و "إيميل زولا" اللذين اهتموا بتصوير واقع المجتمع، باستنهاض الهمم للثورة على مظاهر الفساد، لتغيير النظام، فاعتمدا على الفن والأدب لتمكين الفن من ترقية القيم الإنسانية (شكري، د.ت).

● مدام دي ستايل (1766-1817): يبدأ التأريخ لهذا الاتجاه بكتاب أصدرته عام 1800م ((الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية)) حيث أكدت من خلاله على، أننا لا نستطيع فهم الأثر الأدبي وتذوقه تذوقا حقيقيا في معزل عن المعرفة بالظروف الاجتماعية التي أدت إلى إبداعه وظهوره. فقد اهتمت بالبحث عن مدى تأثير العادات والقوانين في الأدب ومدى تأثير هذا الأخير فيها، ثم جاءت بأمثلة لفهم الظاهرة من ناحية اجتماعية (محمود خليل، 2003).

● بعدها نجد الناقد والفيلسوف "هيبوليت أدولف تين" (1828-1893) الذي يظهر تفسيره الاجتماعي للأدب من خلال كتابه (تاريخ الأدب الانجليزي) 1863م، فقد شرح فيه الكاتب منهجه القائم على اعتبار أن الأدب حصيلة عوامل ثلاثة، هي:

- الجنس أو العرق أو النوع: ويقصد به الخصائص القومية إذ يرى أن أدب أمة ما يختلف عن أدب أمة أخرى.
- البيئة: فالإنسان في بيئته خاضع لأوضاع حتمية، هي التي تتحكم بالأدب والحياة العقلية.
- الزمن، أو اللحظة التاريخية: وهو ما يجعل مفهوم البيئة متحركا ويعني به روح العصر أو مكان العمل الأدبي من تاريخ التراث وربما يعني به ما عبر عنه قديما "لكل زمان دولة ورجال" (عزيز ماضي).

ويبدو واضحاً أن المنهج مرتبط بالظاهرة الإنسانية باعتباره يقارنها من الداخل ويتابع مختلف أشكال تطورها .

فالتصور الذي تقوم عليه النظرية، هو قيام الواقع على مستويين أو دعامتين بنائيتين: علاقات الإنتاج، تجسيد الواقع الاقتصادي والاجتماعي وتعرف بالبنية التحتية، وهذا البناء يولد وعياً محدداً لقوى الإنتاج كل ما يتعلق بأشكال الوعي من ثقافة وفلسفة وفن وقوانين، ويعرف بالبنية الفوقية، وأي تغيير في البناء التحتي يستدعي تغييراً في البناء الفوقي بالضرورة، فكل منهما يؤثر في الآخر، ويتأثر به، فالأدب انعكاس لما يتطلبه البناء التحتي في البناء الفوقي، أي أن الأعمال الفنية شديدة الصلة بالواقع، لكنها لا توصف بالواقعية إلا إذا كانت تركز على عوامل التغيير، فلا يمكننا تصوير الواقع كما هو (خليل، مقاربات في نظرية الأدب).

يؤكد هذا ارتباط نظرية الانعكاس بشكل كبير بالفلسفة الواقعية الاشتراكية التي قامت على التفسير المادي للحياة، ويكون الأديب عضواً في الجماعة، تؤثر فيه العادات والتقاليد الموروثة، وبإبداعه يصور علاقته بالواقع، ليعرض الخلل الموجود في تلك العلاقة، يقوم بتقديم رؤى جديدة تكون أكثر انسجاماً من خلال عمله الأدبي، لأن الأديب يعتبر ، أداة المجتمع، فمن خلاله يعبر عن هذا المجتمع (عزيز ماضي، في نظرية الأدب).

● 1.3 الاتجاهات الفلسفية لنظرية الانعكاس: الواقعية الاشتراكية:

تنطلق هذه الواقعية من فكرة أن الأدب يجب أن يدرس من خلال ارتباطه بالواقع التاريخي والاجتماعي، وتعرف بالنظرية الماركسية، فقد نظرت إلى التاريخ نظرة حركية وقد قامت أساساً لتفسير حركة التاريخ والتحول الاجتماعي، في محاولة استنباط القوانين التي تحكم فيها (ميغان، 2003).

فمقولة كارل ماركس (1818-1883) أصبحت الأساس الفلسفي لنظرية الانعكاس، علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج.

فعلاقات الإنتاج تجسد الواقع الاقتصادي والاجتماعي وتعرف بالبنية التحتية، أما قوى الإنتاج فهي كل ما يتعلق بأشكال الوعي من ثقافة وفلسفة وفن، وقوانين .. إلخ، وتعرف بالبنية الفوقية، فالوعي الاجتماعي أسبق في الوجود من الوعي نفسه معنى ذلك أن ذلك علاقات الإنتاج هي التي تحدد الوعي الذي يأتي متأخراً عن الوعي الاجتماعي، فيعود ويمارس دوره، فالبنية التحتية هي التي تشكل الوعي وتجعل الأديب يكتب في الفن والفلسفة، بعد استقرار الأمور فناً وأدباً يصبح الانعكاس من البنية الفوقية إلى البنية التحتية (عزيز ماضي، في نظرية الأدب).

من أشهر الذين تبنا رؤية ماركس عن الانعكاس "جورج لوكاتش" فقد تعمق في المصطلحات والمفاهيم الماركسية، فقسم الأدب إلى قسمين:

أدب طبيعي مزيف، وهو ما كان يعبر عن الطبقة البرجوازية

أدب واقعي صادق وهو التعبير عن الطبقة البسيطة.

كما أنه أشار إلى وجود دالتين لتصوير الأدب في نظرية الإنعكاس :

الدلالة النسبية تقوم بتصوير الواقع الاجتماعي المحلي فيعكس الأديب تجربة ذاتية في تصوير هذا الواقع (عزيز ماضي، في نظرية الأدب).

الدلالة العامة تكون إنسانية ، فهنا تكمن عبقرية الأديب في وصول إلى البعد العام العالمي، فإن استطاع أن يمس من خلال تجربته المحلية الجانب الإنساني أصبحت عالمية، فالجمالي هو تداخل الدالتين النسبية والعامة مع بعضهما. وأطلق على هذا اسم "النموذج" وهو شخصية من الشخصيات والتي تعد رمزا بصفة أو بأخرى مثل: سيزيف، هاملت، السندباد وغيرها، بحيث يستخدمها الأدباء بطرق مختلفة في الأدب فتصبح الشخصية رمزا في الإطار العالمي (معالي).

واهتم لوكاتش أيضا بمبدأ الالتزام الذي يعد أحد المعرفات الأساسية في نظرية الانعكاس عنده، وهو علامة دالة على الفن الواقعي الاشتراكي الذي يتبناه، ويمثل مفهوم الالتزام موقفا إيجابيا أو سلبيا من الوقائع في زمن الكاتب (معالي).

فالأديب ملزم بأن يكون أدبه هادفا وأن تكون رسالته متوافقة مع الإيديولوجية الاشتراكية في بيان الموقف الاجتماعي، شكلا ومضمونا وهذا التداخل بين الشكل والمضمون هو جوهر جمالية الواقعية الاشتراكية -نظرية الانعكاس-

اهتمت نظرية الانعكاس بعملية التلقي على غرار النظريات التي سبقتها، فامتلك لا يعتبر مجرد قارئ بل ومشارك أيضا بشكل غير مباشر في عملية الإبداع الفنية، فلا يمكن إنكار فرديته باعتباره جزء من المجتمع الذي سخر للأديب مادته، فالأدب فعالية اجتماعية وللأدب وظيفة هامة وسامية وهي خلق نوع من الاتساق الفكري والشعوري في الموقف الجماعي بين أفراد الطبقة الاجتماعية من خلال الأدب، فوظيفة الأدب تتمثل في التحفيز والتنوير وفهم الحياة بطريقة أعمق، وتحريك الإنسان ليساهم في تغيير واقعه الاجتماعي نحو الأفضل (عزيز ماضي، في نظرية الأدب).

ثم جاء "لوسيان غولدمان" (1913-1970) الفيلسوف وعالم الاجتماع، الذي اعتمد مبادئ "لوكاتش" وطورها حتى وصل باتجاه جديد يطلق عليه ((علم اجتماع الإبداع الأدبي)) فاعتمد فيه على مجموعة من المفاهيم المعقدة والمستعصية تمثلت في:

- الأدب ليس إنتاجاً فردياً ولا شخصياً، وإنما تعبير عن الوعي المتفاوت بين طبقات المجتمع المختلفة.

- العمل الأدبي واضح في مجمله، وهذا يعني أنه عند قراءتنا لعمل ما تتكون صورة كلية عن الموضوع بتلاحم أجزائه الإبداعية، فتمثل البنية الدلالية الكلية.

- هذه البنية متولدة عن بنية أوسع وأشمل، هي البنية الاجتماعية للطبقة التي يمثلها الأديب، ونقطة الاتصال بين البنية الدلالية هي العمل الأدبي والوعي الاجتماعي، وهو ما عرف عند غولدمان بـ "رؤية العالم"، فكل عمل أدبي عنده يجب أن يتضمن رؤية للعالم.

- جودة العمل الأدبي تكمن في مدى تجسيد الأديب للمنظور الجماعي، وفهمه الحقيقي لحاجات المجتمع (فضل، 2002).

يمكن للدراسات الاجتماعية أن تنظر إلى النص الأدبي بوصفه وثيقة تحاكي المجتمع، ليرى إذا كان العمل الأدبي يعكس هذه البنية أو يشوهها، ويمكن أن يأخذ مفهومها عن الأدب وينتقل منه إلى النص، ثم إلى المجتمع. ويمكن أن يربط الأديب وعمله الاجتماعي، والمضمون الاجتماعي للأعمال ذاتها، وتأثير الأدب في المجتمع (الأعرج، 1999).

2.3 العنوان تطبيق المنهج السوسيولوجي على مجالات الأدب:

لا بد وأن نحدد بداية أن المنهج السوسيولوجي قد ارتبط كثيراً بمجال الرواية أكثر من ارتباطه بالمسرح، إلا أن هذا لا يعني أنه لا يناسب هذا المجال، بل العكس هو الصحيح، ذلك أن جولدمان طبق هذا المنهج على العديد من الأعمال الأدبية فقد طبقه على أعمال بودلير وخاصة قصيدته الشهيرة باسم "القطط" المأخوذة من ديوان (أزهار الشر) والتي حللها وحقق من خلالها بنية الازدواجية الجذرية القائمة على التناقض بين الـ"هنا" و"هناك" ويعني بالـ(هنا) العالم والمجتمع والزمن الذي نعيشه، وبالـ(هناك) الجمال واللانهاية والخلود، وهي مقولات رومانسية واضحة، ويعيش الإنسان تمزقاً مستمراً، بين هذين القطبين (صقر، قراءة في مناهج النقد المعاصر).

ومن جانب آخر فإن جولدمان نجح أيضاً في تطبيق هذا المنهج في مجال المسرح على أعمال الكاتب الفرنسي جان جينيه الذي قدم العديد من الأعمال المسرحية أمثال "الخادمت" و "الزنج" و "الشرفة" و "الحواجز الواقية" حيث استطاع جولدمان أن يعكس من خلال أعمال جينيه الملامح الاجتماعية المميزة لهذه المرحلة وخاصة أوضاع الطبقة الكادحة المرفوضة من قبل النظام الرأسمالي (صقر، قراءة في مناهج النقد المعاصر).

إذا شمل مجال تطبيق هذا المنهج الشعر والمسرح فإنه بلا شك قد تبلور في مجال الرواية حيث تبحث البنيوية التكوينية في بنيات النص: البنية الداخلية للنص، والبنية الثقافية أو (الأيديولوجية) والبنية الاجتماعية، ثم البنية التاريخية وهذه البنيات متكاملة ومتفاعلة فيما بينها. ساهم جولدمان في مجال تطبيق المنهج السوسيولوجي على الرواية الجديدة في فرنسا وقد ظهر ذلك من خلال دراساته "سوسيولوجية الرواية" حيث طبق المنهج على أعمال بلزاك وإميل زولا وفلوبير وغيرهم، وقد نجح في تناول علاقة البطل المناضل في ظل مجتمع يحيط طموحاته ومساعية (صقر، قراءة في مناهج النقد المعاصر).

4. في الجمالي والفني في نظرية الانعكاس

و يوحد "لوكاتش" بين علم الجمال ونظرية الفن فيرى بأن العلاقة الجمالية ظاهرة فكرية عامة، وهو يتفق مع أرسطو في أن الفن محاكاة للواقع، ويتفق مع هيغل في أن الفن يختلف عن العلم في الشكل، فكلاهما معرفة مستمدة من الواقع في الأساس (بلوز، 1981).

فالقيمة الجمالية تظهر في انتقال عمل المبدع إلى مستوى العالمية أو الوصول إلى الأعمال الخالدة التي مست جميع جوانب الظاهرة الاجتماعية؛ إذ أن الخلق هو انعكاس للواقع، وتجسيد أيضا لنتائج إدراكه وطريقة تقييمه؛ أي أن هذا الخلق يقدم لنا معلومات عن العالم وعن الفنان نفسه، يحدثنا عن واقع الحياة الاجتماعية وكيف يجب أن تكون الحياة الإنسانية.

وينعكس هذا الخلق في المبدأ الجمالي، إذ أن مهمة نظرية الجمال لا تقتصر فقط على الكشف عن الجوانب الفردية لانعكاس العالم، بل الكشف في الوقت نفسه عن منطق علاقاته بجوانب الحياة المختلفة، في قالب فني يظهر من خلال إبداع صاحبه (رشيد، 1985)، وقدرته على ابتداع المعادل الجمالي بمخيل منتج لواقع حي، ((إن إنتاج الفنانين ليس إنتاجا ماديا، بل هو من إنتاج الخيال، فمعجزة الفن هي جعل التشكيل الخيالي واقعا حيا)). (رشيد، 1985)

وهذا ما نلاحظه في مسرحيات شكسبير وأعمال نجيب محفوظ، إن العالم الواقعي يجسد من خلال أعمالهم، النموذج العالمي الجمالي، لذلك نجد صورا فنية جميلة، وكثيرة في أدبنا اتخذت من النفس الإنسانية والأحداث الاجتماعية ومشاكل الحياة وتناقضاتها، مادة للتعبير الجميل، عجزت الكثير من الفنون الوصول والإتيان بمثلها.

إن جمالية الفن في نظرية الانعكاس، تظهر من خلال العلاقة التي تربط المبدع بالمشاعر المتطورة التي ينعكس فيها وعي الإنسان في علاقاته بظواهر الواقع وتقييم هذه الظواهر تقييما جميلا أو قبيحا، ساميا أو وضيعا، مأساويا أو مفرحا. ويتحدث علم النفس في هذا المجال عن مشاعر متنوعة جمالية

وأخلاقية وثقافية. وعلى هذا الأساس تنمو قابليات الإنسان من أجل ربط التصورات الأساسية مع بعضها وكذلك عزل بعض العناصر عن هذه التصورات المختلفة وتوحيدها في قالب فكري جديد ومتميز. إن الاستيعاب الجمالي للواقع في الحياة يظهر لنا، في ثلاث مراحل تختلف عن بعضها ودون الفصل بينها وهي (عبد الحفيظ، 2008):

1-مرحلة الانعكاس الجمالي لشروط العمل ومنتجات العمل في الإنتاج المادي.

2-مرحلة خلق الأشياء التي تخدم حاجات معينة لنوع مادي ولكنها في نفس الوقت تصاغ بوعي نحو هدف ومضمون الأفكار والمشاعر وفي الحياة اليومية يجري الحديث عن هذه المنتجات كالسجاد وإناء الزهور والموبليات التي تحمل طابعا فنيا، باعتبارها فنا تطبيقيا. كما إن الفن باعتباره ظاهرة للحياة الفنية للمجتمع فلا يمكن أن يوجد في الحياة الاجتماعية فن بدون معنى، بل يجري تطبيقه واستخدامه بهذه الطريقة أو تلك.

3-مرحلة وجود الفن كظاهرة للوعي الاجتماعي. فالأعمال الفنية والتفاعلات في المجتمع هي حقائق جمالية وعاطفية وفكرية يصوغها الفنان ويجسدها لكي يخدم من خلالها بالدرجة الأولى الحاجات العاطفية والأفكار الأيديولوجية للإنسان الاجتماعي (عبد الحفيظ، 2008).

ويجد الإنسان في الفن قابليات يمكنه من خلالها إدراك العالم الجمالي. كما أن الفن شكل خاص للوعي الإنساني وأحد مواضيع الجمال بأدق معناه. فعلم الجمال إذن يبحث صورة الإنسان في نشاطه الاجتماعي في جميع مجالات الحياة و يمكن أن يكون هذا الإنسان قبيح المنظر ولكن أعماله جميلة، أي معبرة وهادفة، ويمكن أن يكون عملا فنيا جميلا ولكن هدفه مناهض للإنسانية ومبادئ الحرية والعدالة أو الذوق العام؛ فهو في هذه الحالة يفقد صفة الجمالية، باعتبارها المعادل الجمالي لنشاط الوعي الاجتماعي.

وتعد الماركسية من المذاهب الفكرية التي اعتمدت على أسس علم الجمال في فهم قوانين التطور الاجتماعي، وقد وصل الثقافة بينهما إلى حد إطلاق علم الجمال الماركسي الذي يعد الأدب انعكاسا للواقع بطريقة تتجاوز النقل المباشر إلى خلق صور فنية، يتداخل فيها الذاتي مع الموضوعي والشكل مع المضمون مع بيان الموقف الاجتماعي الذي ينبغي أن ينعكس في بنيات هذه الصور، وفي وحدتها العضوية الفنية والجمالية، للتعبير عن مرحلة من مراحل الإنسان في مجتمعه وبيئته (البقاعي، 1985).

فالفن بما يمثله من تعبير عن الحياة يعتبر ابن المجتمع المعبر عنه، والخصائص الفلسفية لمنحى فني لا تنجم فجأة ولا تأتي من فراغ، إنما لها جذور عميقة ممتدة في تربة المجتمع وما يعتمد فيه من حياة. ويرى الماركسيون بأن الفنان بتقييمه لعمله الفني إنما يقوم بالتعبير عن وجهة نظره النقدية وبؤدي في الوقت نفسه مهمة جمالية تتمثل في إيجاد المعادل الجمالي المناسب لعمق الحياة الشعبية والاجتماعية، في صور فنية تعكس عناصر الحياة اليومية في واقعية تنشد التحسين والتغيير وهذه هي غاية الفن.

فالمجتمع إذن هو موضوع التفكير حتى وإن توهم الفرد أو الفنان بأن مشكلته في نفسه، بينما تكون غالبا في مجتمعه بقدر ما هي في نفسه أو بالأحرى، هي انعكاس لذاته في المجتمع، أو انعكاس المجتمع في ذاته، والعالم الاجتماعي يطغى على نفس الفنان ويفرض عليه قيما وحدودا، وهذا الانعكاس هو الذي يدفع إلى تحديد المعادل الجمالي من خلال جدلية الذات والمجتمع. ولا بد للفنان من أن يعنى بهذه القيم، ويعبر عنها بصورة مباشرة أو غير مباشرة لأنها ترتبط بسعيه إلى تحقيق ذاته وتقدير مصيره في عالم يتشابك فيه الوجدان الذاتي الخاص مع الوجدان الاجتماعي العام (عبيد، 1988).

فالفنان يصل بعمله إلى القيمة الجمالية حين يعبر عن الإنسان، بالمعنى العام محافظا في الوقت نفسه على الأداء الفني بانتقاء أفضل المعادلات الجمالية التي تحقق دينك الوجدانين (الذاتي والاجتماعي). فانعكاس الأدب يعتمد اللغة مادة أولى مثلما يعتمد الرسم الألوان والخطوط، وتعتبر اللغة نفسها أداة إدراك وفهم وتعبير، فالمجتمعات لا تخلق لغتها وإنما ترث منها الكثير وترث معها طرقا للتعبير، والمبدع لا يستعين باللغة فقط كما هي أو كما وجدها وإنما يؤثر فيها قدر تميزه وتفردّه، والمعادل الجمالي اللغوي هنا وسيلة لنقل فعالية الوعي الاجتماعي (الواد، 1980).

فالإنتاج الأدبي لا يتوج أديبا جميلا لأن تعبيره صحيح وتراكيبه مستقيمة، بل لأن لغته جميلة معبرة، فهي تميزت عن غيرها فميّزت صاحبها، وأثرت في علاقته بالعالم الخارجي حتى وصلت إلى العالمية. فالتعبير الجمالي، عند البعض يقدم معرفة تختلف عن المعرفة التي يقدمها العلم للناس، ولكنها قائمة بذاتها متجاوبة مع حاجيات الفرد والجماعة للجمال ومع حاجيات المجتمعات للمعرفة الجمالية ذاتها.

وفي الأدب تبدو المعرفة الجمالية في خصوصية الأدب نفسه من حيث هو كائن خاص من الكلام. ومرد هذه المعرفة، إلى أن الفن نفسه أداة سيطرة على الواقع ووسيلة تحكّم، تمكن إلى حد ما من تغييره. وبما أن النصوص الأدبية تختار أديبا لأنها، في عرف الذين اختاروها، على حظ من الجمال، فإنها تؤثر في المجتمع مثلما تؤثر فيه الأشياء الجميلة عندما تمتد الناس بنوع من المعرفة الفنية للواقع يبدو بأنهم في حاجة إليها (الواد، 1980).

وهكذا فالأدب من حيث هو انعكاس للواقع له أثر مزدوج، علاوة على عمله فيه، فهو يؤثر من حيث هو مكون من لغة له في تطويرها وفي تغييرها وتحديد عمل، وله في النظام الفكري العام كله ضلع في تأسيسه أو تحويله، و يؤثر فيه من حيث هو كائن من جمال أو عدّ في وقت ما جميلا حسب مقاييس معينة وضمن نظرة معينة أيضا للأشياء الجميلة.

فنصل إلى أن الفن لم يوجد من أجل دائرة صغيرة مغلقة من الناس، أو من أجل نخبة مثقفة بل وجد وخلق من أجل مجموع الشعب بوجه عام. وهذا كان منطلق الفن الواقعي وأساسه الروحي، وأساس المثل الأعلى الجمالي للواقعية عموما.

5. الخاتمة:

نصل في الأخير إلى مجموعة من الأفكار استقيناهما من خلال معالجتنا للموضوع تمثلت في عدة نقاط، أهمها ما يلي:

لم يوجد الفن من أجل دائرة صغيرة مغلقة من الناس، أو من أجل نخبة مثقفة بل وجد وخلق من أجل مجموع الشعب بوجه عام، وهذا كان منطلق الفن الواقعي وأساسه الروحي، وأساس نظرية الانعكاس المتمثل في تجسيد الموقف الاجتماعي.

تكمن علاقة نظرية الانعكاس بالمنهج الاجتماعي فيما دعت إليه الفلسفة الاشتراكية ويهتم المنهج بدراسة المجتمع كما يهتم بتتبع الأعمال الأدبية التي تصور هذا المجتمع بخيره وشره، وتدعو إلى تقدمه.

الانعكاس ليس أمراً آلياً فوتوغرافياً موازياً وإنما هو تصوير متداخل، فالمرآة هي الأدب والواقع ينعكس في شكل من أشكال الوعي الآخر.

تحاول نظرية الانعكاس الجمع بين كل المجالات وعلاقتها ببعضها، وكذا علاقتها بالمتلقي وعلاقتها بفن السيرة، وعلم النفس، وغيرها.

صورت نظرية الانعكاس، الواقع وتجاوزته إلى الجمالية فلامست العالمية كأمثال: "شكسبير" غوته "نجيب محفوظ" ...

اعتمدت النظرية على المنهج الاجتماعي للوصول إلى علاقة الأديب بالمجتمع.

الأدب هو فعالية اجتماعية في نظر النظرية، فهو تجربة إنسانية والغرض منه هو التأثير في المتلقي وبالتالي تغيير الواقع نحو الأفضل.

الخروج بالإنتاج الفني إلى دائرة المجتمع والجمهور، لأن إنتاج الفرد هو جزء من الكل، وذلك للوصول إلى الإبداع الكلي الجمالي.

5. قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم خليل. (2007). *مقاربات في نظرية الأدب ونظرية اللغة*. بيروت، لبنان: دار المجدلوي للنشر والتوزيع.
- إبراهيم محمود خليل. (2003). *النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك*. الأردن: دار المسيرة.
- أحمد صقر. (بلا تاريخ). *قراءة في مناهج النقد المعاصر*. تم الاسترداد من [https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=262525kX2NKntJo8gHvEdoDMRMFD3pWmge2151iHSrn4el1w](https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=262525fbclid=IwAR17Zng3_fnNMPGb-&https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=262525kX2NKntJo8gHvEdoDMRMFD3pWmge2151iHSrn4el1w)
- حسين الواد. (1980). *في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج*. تونس: دار المعرفة.
- حنين معالي. (بلا تاريخ). *شرح نظرية الانعكاس في الأدب*. تم الاسترداد من https://sotor.com/%D8%B4%D8%B1%D8%AD_%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%B9%D9%83%D8%A7%D8%B3_%D9%81%D9

%8A_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8?fbclid=IwAR1cF9fHZK_fP_6zc0nXhUxxj7

CgDMYY8FufA5WtjzPBRLT4gks7vnco6lO

- خالد الأعرج. (1999). في تأويل النقد الأدبي الاجتماعي دراسة في نقد النقد. سوريا: ناشرون في الأدب .
- رجاء عبيد. (1988). فلسفة الالتزام في النقد الأدبي. الاسكندرية، مصر: منشأة المعارف.
- رويلى ميجان. (2003). دليل الناقد الأدبي . المغرب: المركز الثقافي.
- سهير حجازي. معجم المصطلحات الأدبية واللغوية . لبنان: دار الراتب الجامعية.
- شفيق البقاعي. (1985). الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس في الأدب المقارن. بيروت، لبنان: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
- صلاح فضل. (2002). مناهج النقد المعاصر. القاهرة، مصر: ميريت للنشر والتوزيع.
- عبد الله خضر حمد. (د.ت). مناهج النقد الأدبي. بيروت ، لبنان : دار القلم .
- عدنان رشيد. (1985). دراسات في علم الجمال. مصر: دار النهضة .
- عزيز ماضي شكري. (د.ت). في نظرية الأدب. بيروت، لبنان: دار الحداثة للطباعة والنشر.
- كمال نشأت. (1970). في النقد الأدبي دراسة وتطبيق. مصر: الهيئة المصرية للكتاب.
- محمد عبد الحفيظ. (2008). دراسات في علم الجمال. مصر : دار الوفاء.
- محمد عبد السلام كفاقي. (1972). في الأدب المقارن. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية .
- نايف بلوز. (1981). علم الجمال . دمشق، سوريا: تعاونية دمشق.